

الحلقة الخامسة

سلسلة رمز وحقيقة

برنامج أنوار كاشفة

إبراهيم الخليل والإيمان

نواصل دراستنا لأحداث سفر التكوين ، الذي هو أول أسفار الكتاب المقدس ، لنكتشف ما تشير إليه من معان ورموز . ولنعرف المزيد عن خطة الله الأزلية لإنقاذ الإنسان .

وكنا قد تأملنا في اللقاء الماضي عن طوفان الماء الذي أرسله الله دينونة للبشر على ازدياد شرهم . ونجاة نوح مع أهل بيته بدخوله إلى الفلك الذي أمره الله ببنائه . وتبين لنا أن حالة البشر اليوم لا تختلف كثيرا عن أيام الطوفان . وأنه كما دان الله العالم قديما بالطوفان ، هكذا سيدينه عند نهاية العالم بدينونة النار . وأنه علينا لكي ننجو أن نؤمن بالمخلص المسيح وموته الكفاري .

وفي هذا اللقاء واللقاءات القادمة سنتحدث عن سيرة إبراهيم أبي المؤمنين . وهي سيرة مليئة بالوعود والرموز والإشارات لجوهر المسيحية ورسالة الإنجيل ، ولا بد أن نستفيد منها الكثير .

كان أبرام الذي أسماه الله فيما بعد إبراهيم ، ابن لتارح من نسل سام بن نوح . وكان يعيش في أور الكلدانيين، في بلاد ما بين النهرين ، التي تقع فيما يعرف اليوم بالعراق . ثم رحل أبرام مع والده وزوجته سارة وإبن أخيه لوط إلى حاران . وهي بلدة كانت تقع في شمال سورية. وآمن أبرام وعلى عكس آباءه بالإله الواحد ، الرب الله خالق السموات والأرض. وفي الحقيقة كان الإيمان هو الميزة الأساسية التي تميزت بها حياة أبرام أو إبراهيم كلها ، لهذا لم يكن غريبا أن يُدعى بأبي المؤمنين . ويخبرنا سفر التكوين عن علاقة الله مع إبراهيم بالتفصيل .

بدأت علاقة الله مع أبرام عندما دعاه أن يترك أرضه وعشيرته وبيت أبيه إلى الأرض التي سيريه إياها . وأنه سيجعله أمة عظيمة ، وتتبارك فيه جميع قبائل الأرض . ففعل أبرام كما قال له الرب . لقد ترك أبرام بالإيمان أرضه وعشيرته وبيت أبيه مطيعا الله . لابل عاش معظم أيام حياته في خيام مصدقا وعد الله له أنه سيباركه ويعظم إسمه . وأنه ستتبارك فيه كل شعوب الأرض . وقد علق كاتب سفر العبرانيين - من أسفار العهد الجديد - على ذلك بالقول : " بالإيمان إبراهيم لما دُعي أطاع أن يخرج إلى المكان الذي كان عتيدا أن يأخذه ميراثا ، فخرج وهو لا يعلم إلى أين يأتي." ثم أضاف قائلا : " بالإيمان تغرّب في أرض الموعد كأنها غريبة ساكنا في خيام مع اسحق ويعقوب الوارثين معه لهذا الموعد . لأنه كان ينتظر المدينة التي لها الأساسات التي صانعها وبارئها الله . " (عبرانيين ١١: ٨ و٩)

حقا ، ما أعظم إيمان إبراهيم ، الذي عاش طيلة حياته منتظرا تحقق وعد الله له ، ولم تنزع ثقته بالله . والسبب لأنه صدق الله ، وعلم أن الله قد أعد له المدينة السماوية . فهل ترانا نصدق نحن اليوم مواعيد الله لنا؟ وظهر إيمان إبراهيم مرة ثانية ، عندما أكد له الله أن نسله سيكون كثيرا جدا كعدد نجوم السماء . فعندما ظهر الله لأبرام في رؤيا سأله أبرام : ماذا تعطيني وأنا ماض عقيما ولم تعطني نسلا ؟ فأخرجته الرب إلى خارج وقال أنظر إلى السماء وعد النجوم إن استطعت أن تعدها . وقال له : هكذا يكون نسلك . وهنا دونت الآية المقدسة : " فأمن بالرب فحسبه له برا . " (تكوين ١٥:٦)

لقد آمن أبرام بوعد الله له ، أن نسله سيكون كثيرا جدا كعدد نجوم السماء ، بالرغم من أنه لم يكن لديه ابن ، ولهذا اعتبر الله إيمانه برا . أي أن الله اعتبر أبرام بارا بلا خطيئة بسبب إيمانه وتصديقه لوعده له .

ومرة الثالثة برز فيها إيمان إبراهيم بالله ، عندما آمن بقول الله له أنه سيولد له ابن . رغم أنه وزوجته سارة أصبحا متقدمين في السن ، ومن المستحيل من وجهة النظر البشرية أن ينجبا أطفالا . ولهذا كتب الرسول بولس عن إبراهيم قائلا : " فهو على خلاف الرجاء آمن على الرجاء لكي يصير أبا لأمم كثيرة كما قيل هكذا يكون نسلك . وإذا لم يكن ضعيفا في الإيمان لم يعتبر جسده وهو قد صار مماتا إذ كان نحو مئة سنة ولا ممتية مستودع سارة . ولا بعدم إيمان ارتاب في وعد الله بل تقوى بالإيمان معطيا مجدا لله . وتيقن أن ما وعد به هو قادر أن يفعله أيضا . لذلك أيضا حسب له برا . " (رسالة رومية ٤:١٨-٢٢)

نعم ، لقد صدق إبراهيم وعد الله له بأنه سينجب ولدا ، وتأكد أن الله قادر أن يفى بوعده . رغم أن الطبيعة البشرية ، لا بل كل الوقائع ، كانت تشير إلى العكس . وهذا ما يؤكد مرة أخرى عظم إيمان إبراهيم .

وتجلى في مرة رابعة الإيمان العظيم لإبراهيم ، عندما امتحنه الله بتقديم ابنه وحيدته اسحق الذي يحبه ذبيحة له . فأخذ إبراهيم ابنه وصعد إلى جبل المريا حسب قول الرب له ، وبنى المذبح ورتب الحطب .

ثم ربط اسحق ابنه ووضع على المذبح وأخذ السكين ليذبح ابنه . وعندما ناداه ملاك الرب من السماء وقال له : لاتبعد يدك إلى الغلام ولا تفعل به شيئا ، لأنني الآن علمت أنك خائف الله ، فلم تمسك ابنك وحيدك عني . وقد علق هنا أيضا كاتب سفر العبرانيين على هذه الحادثة بالقول : " بالإيمان قدم إبراهيم اسحق وهو مجرب قدم الذي قبل المواعيد وحيدته . الذي قيل له إنه بإسحق يدعى لك نسل . إذ حسب أن الله قادر على الإقامة من الأموات . " ( عبرانيين ١١:١٧-١٩ )

لقد قدم إبراهيم ذبيحة ليس ابنه وحيدته فحسب ، بل ابنه الذي وعده الله أن منه سيأتي النسل . لكنه لثقته الكاملة بالله وطاعته لأوامره ، تأكد أن الله قادر أن يقيم ابنه مرة أخرى من الموت .

أجل ، ما أعظم إيمان إبراهيم . فهل وجد في التاريخ البشري إيمان أعظم منه ؟ لهذا لم يكن غريبا أن يصبح إبراهيم أبا للمؤمنين جميعا ، وأن يحمل هذا اللقب على مدى العصور والأجيال .

لقد ضرب لنا إبراهيم بإيمانه مثلا حيا يحتذى ، إذ نحن اليوم أيضا بحاجة إلى نفس نوعية إيمان إبراهيم . أي الإيمان الذي يصدق مواعيد الله ويثق به ثقة كاملة .

قد لا يطلب منا الله أن نترك بلادنا وأهلنا . وهو بالطبع لن يمتحن إيماننا بتقديم أولادنا ذبيحة له ، لكننا مع ذلك مازلنا بحاجة إلى عظمة وعمق إيمان إبراهيم . أي الإيمان الذي عرفه لنا كاتب سفر العبرانيين بقوله : " وأما الإيمان فهو الثقة بما يرجى والإيقان بأمور لا ترى . " (عبرانيين ١١: ١) فالإيمان هو الثقة الكاملة بوعود الله لنا ، واليقين من أمور غير منظورة . لكن ما هو موضوع الإيمان ؟

إنه بالحق سؤال هام . ما هو موضوع الإيمان بالنسبة لنا نحن اليوم ؟ لقد آمن إبراهيم بالله ، وصدق مواعيده التي وعده بها . فبماذا نؤمن نحن اليوم ؟ وما هي وعود الله التي يجب علينا أن نصدقها ؟

لقد أجابنا الرسول بولس عن هذا السؤال ، عندما علّق على إيمان إبراهيم بقوله : " ولكن لم يكتب من أجله وحده أنه حسب له - أي حسب له البر - بل من أجلنا نحن أيضا الذين سيحسب لنا ، الذين نؤمن بمن أقام يسوع ربنا من الأموات ، الذي أسلم من أجل خطايانا وأقيم لأجل تبريرنا . " (رومية ٤: ٢٣-٢٥)

إذن إن موضوع الإيمان بالنسبة لنا ، هو شخص المخلص المسيح وعمله الكفاري على الصليب ، وقيامته المجيدة من بين الأموات . وعندما نؤمن هذا الإيمان نحصل على تبرير الله لنا ، أي نصبح مبررين أمام الله . وبتعبير آخر ، علينا أن نؤمن ونثق أن المخلص المسيح قد مات فعلا على الصليب ، أخذ عقاب خطايانا ، بالنيابة عنا . وأنه قام من بين الأموات لكي يحررنا من عبودية الخطية وإبليس ( الشيطان ) والموت . وكما برر الله إبراهيم قديما بواسطة إيمانه ، فهو سيبررنا نحن اليوم عن طريق إيماننا بالمخلص المسيح . أي لا يعود يعتبرنا خطاة ، ويهبنا في نفس الوقت الغفران الكامل ، والحياة الأبدية .

فهل هذا أمر صعب يا صديقي أن تؤمن بالمخلص المسيح ، لكي تحصل على خلاص الله الكامل ، وتنال وعوده العظيمة ؟ لم لا تتمثل بإبراهيم أبي المؤمنين جميعا وتخطو خطوة الإيمان هذه ؟ فهل تراك تؤمن وتصدق ما عمله الله من أجلك ؟ وهكذا تصبح من أولاد الله .